Journal of Arabic Language and Literature
Volume (1), Issue (2) : 30 Mar 2022
P: 15 - 28
ISSN: 2790-7317
مجلة اللغة العربية وآدابها
المجلد (1)، العدد (2) : 30 مارس 2022 م
ص: 15 - 28

The Linguistic History of the Emergence of the Syntactic dispute

Bassam Awwad Al-Adamat
Directorate of Education for the northeastern Badia region || Ministry of Education || Jordan

Abstract: This study investigates the linguistic history of the emergence or the syntactic dispute. It indicates the result of that history reaching linguistic texts sincerity. This paper links them to social, historical and cultural events related to conditions on the one hand, and to scholars who form an important role on the other one. The study consists of several sections such as introduction. Firstly, the researcher addresses linguistic history of grammatical disagreement's observations. Secondly, he investigates history through grammatical difference's beginning. Thirdly, he addresses history of Kufian's term in AlKitab for Sibawayh. Fourthly, he addresses grammatical disagreement's maturity and its schools emergence and finally, he addresses many grammatical disagreement's models.

Keywords: Grammatical disagreement, Kufian, Disagreement issue.

التأريخ اللغوي لنشأة الخلاف النحوي

بسام عواد العظامات
مديرية التربية والتعليم لمنطقة البادية الشمالية الشرقية || وزارة التربية والتعليم || الأردن

المستخلص: يتناول البحث التأريخ للخلاف النحوي ومسائله، مبينا ثمرة هذا التأريخ في التوصل إلى صدق النصوص اللغوية عن طريق ربطها بالأحداث الاجتماعية والتاريخية والثقافية المرتبطة بالزمان والمكان الواردة في النصوص من ناحية، وبالعلماء الذين يشكلون جزءا منها من ناحية أخرى، ويترتب على ذلك إعادة النظر في بعض المسلمات في تراثنا اللغوي.

تتكون الدراسة من خمسة مباحث، فتناول المبحث الأول التأريخ اللغوي للإرهاصات الأولى للخلاف النحوي للوقوف على الإشارات الأولى للخلاف النحوي، وفي المبحث الثاني تناول التأريخ اللغوي للبداية الحقيقية للخلاف النحوي في القرن الثاني الهجري، أما في المبحث الثالث فتناول التأريخ لمصطلح الكوفيين في كتاب سيبويه، وفي المبحث الرابع تناول التأريخ اللغوي لنضوج الخلاف النحوي وظهور مدارسه في البصرة والكوفة وبغداد، أما المبحث الخامس فتناول التأريخ اللغوي لنماذج من مسائل الخلاف النحوي.

وقد خلصت الدراسة إلى أن ما قدمه التأريخ اللغوي للخلاف النحوي يشكل أساسا لإعادة النظر في كثير من مسلمات وقضايا دراسة الخلاف النحوي، وهذا يقود إلى التحول في دراسة الخلاف النحوي من الجهد الفردي إلى الجهد الجماعي، فهي إشكالية لا تقل أهمية عن إشكالية المعجم العربي الذي نهضت بدراسته المجامع اللغوية، وذلك لأن الجهد الفردي لا يكفي لموضوع واسع ومتشعب من ناحية، وأن الجهد الفردي خاضع للأحكام الذاتية المسبقة من ناحية أخرى.

الكلمات المفتاحية: الخلاف النحوي، الكوفيون، مسائل الخلاف.

المقدمة.

تكشف مناهج التأريخ اللغوي ما يحيط بالظاهرة اللغوية من أحداث سياسية وثقافية واجتماعية، كما تؤرخ الظاهرة اللغوية ذاتها من خلال نصوصها وعلمائها إلى الظروف الزمانية والمكانية التي ولد فيها النص اللغوي من جهة، ومدى صدق ما تقدمه مما أحاط بها من ناحية أخرى.

ومن مجالات التأريخ للظاهرة اللغوية التأريخ اللغوي لظاهرة الخلاف النحوي التي ارتبطت بالزمان (القرن الثاني وما بعده)، والمكان (البصرة والكوفة وبغداد)، وبعلماء النحو كالخليل، والرؤاسي، وسيبويه والكسائي، والفراء، وثعلب، والمبرد، والأخفش، وغيرهم.

مشكلة الدراسة:

يعد التأريخ للمصطلح النحوي في الخلاف النحوي من أهم القضايا التي ركز عليها البحث، ووقف عندها لأنها تشكل المدخل الرئيسي في منهجية التأريخ اللغوي في الخلاف النحوي، فمصطلح لفظ الكوفيين الوارد في كتاب سيبويه يعكس عمومية مقصودة تقود إلى وجود خصوصية لهذه الفئة التي يمثلها المصطلح.

أهمية البحث:

تظهر أهمية هذا البحث في أن التأريخ للخلاف النحوي يساهم في الكشف عن حقيقة هذا الخلاف، والوقوف على مجموعة من القصص والمناظرات اللغوية التي تؤرخ لبدايته وتطوره من ناحية، والكشف عن وهم بعض القصص والمناظرات الخلافية من ناحية أخرى، وخير مثال على ذلك ما ذكر في المسألة الزنبورية.

الدراسات السابقة:

تعددت الدراسات التي تتناول الخلاف النحوي دون الخوض في التأريخ له، ومن الدراسات السابقة التي تناولت التأريخ في الخلاف النحوي:

- **دراسة سهير أحمد: المسألة الزنبورية بين الوهم والحقيقة**، مجلة كلية دار العلوم، ع 118، 2019، جامعة سوهاج، مصر)، وأرخت الباحثة في هذه الدراسة للمسألة الزنبورية من خلال مجموعة من الأحداث والقصص لتصل إلى أدلة تثبت وهمها.
- **دراسة الجابري، بدر بن محمد، الكوفيون في كتاب سيبويه**، مجلة جامعة أم القرى، ع11، 2013م)، وتتبع فيها الباحث دلالة لفظ الكوفيين الوارد في كتاب سيبويه، فربطه بالقراء.

منهجية البحث.

أما منهج البحث، فقد تبنى البحث المنهج التاريخي، والمنهج الاستقرائي التحليلي الذي يتلاءم مع علم التأريخ، واستقراء النصوص وتحليلها.

خطة البحث.

اقتضت منهجية البحث تقسيمه إلى مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة، وعلى النحو الآتي:

- المقدمة، وتضمنت ما سبق.
- المبحث الأول: التأريخ اللغوي للإرهاصات الأولى للخلاف النحوي.
- المبحث الثاني: التأريخ للبداية الحقيقية للخلاف النحوي.
- المبحث الثالث: التأريخ لمصطلح الكوفيين في كتاب سيبويه.
- المبحث الرابع: التأريخ اللغوي لمرحلة استقرار الخلاف النحوي وتبلور مدارسه.
- المبحث الخامس: التأريخ اللغوي لمسائل الخلاف النحوي.
- الخاتمة: خلاصة بأهم النتائج، التوصيات والمقترحات.

وأسأل الله أن يوفقنا في هذا الجهد إلى الصواب، وأن يغفر لنا ما وقعنا فيه من خلل وخطأ، فالكمال لله عز وجل، والحمد لله رب العالمين

المبحث الأول- التأريخ للإرهاصات الأولى للخلاف النحوي.

ظهرت الإشارات الأولى للخلاف النحوي في كتاب سيبويه، فنجده يحيل بعض الآراء النحوية في بعض المسائل إلى من سبقه من النحاة، ثم يتبع ذلك بالنقد والترجيح والرد، وتؤكد هذه الإشارات أن الخلاف النحوي قد بدأ مبكرا قبل ظهور مدرستي البصرة والكوفة في النحو في القرنين الأول والثاني الهجريين.

عند التأريخ اللغوي للإرهاصات الأولى للخلاف النحوي نجد أن قصة طلب الخليل بن أحمد من أبي جعفر الرؤاسي كتابه في النحو ليقرأه تمثل الإشارة الأولى لإطلاع الخليل على فكر الكوفيين، وعند البحث في هذه الإشكالية نجد نصا صريحا في ذلك في مؤلفات متعددة، نذكر منها ما يلي:

- ما أورده ابن النديم في الفهرست في تأكيد هذه القصة، فيقول: " وكان الرؤاسي رجلا صالحا، وقال الرؤاسي: " بعث إلي الخليل يطلب كتابي، فبعثت به إليه فقرأه، ووضع كتابه، قال: وفي كتاب سيبويه فإن الكوفي يعني الرؤاسي، قال ابن درستويه: زعم ثعلب أن أول من وضع من النحويين الكوفيين في النحو كتابا الرؤاسي، وتوفي وله من الكتب كتاب الفيصل"[(1)].
- ما أورده كمال الدين الأنباري في كتابه " نزهة الألباء في طبقات الأدباء" في ترجمته لأبي جعفر الرؤاسي، فيقول: " وكان الرؤاسي رجلا صالحا، ويحكى عنه، أنه قال: أرسل الخليل بن أحمد يطلب كتابي، فبعثته إليه، فقرأه ووضع كتابه"[(2)].
- ويذكر السيوطي (911هـ) الخبر في كتابه " بغية الوعاة"، ويضيف على الرواية السابقة قولا للمبرد يؤكد أن الرؤاسي قد ألف كتابا في النحو، فيقول: " وقال المبرد: ما عرف الرؤاسي بالبصرة، وقد زعم بعض الناس أنه صنف كتابا في النحو، فدخل البصرة ليعرضه على أصحابنا، فلم يلتفت إليه، لم يجسر على إظهاره لما سمع كلامهم"[(3)].

عند دراسة هذه الروايات نجد اتفاقا واضحا بينها، فالرؤاسي توفي في (187هـ) في أيام الرشيد، وعاش في الكوفة، فهو معاصر للخليل في الزمان ومقارب له في الوفاة، ويذكر أنه قد زار البصرة، ويذكر ذلك القفطي (646هـ) نقلا عن رواية الفراء، فيقول: " وسئل الفراء عن الرؤاسي، فأثنى عليه وقال: قد كان دخل البصرة دخلتين، وقل مقامه بالكوفة، فلذلك قلّ أخذ الناس عنه، وقد عمّر إلى أيام الرشيد"[(4)].

تؤكد هذه الروايات التأريخ اللغوي الذي يدل على وجود اتصال بين نحاة البصرة والكوفة، كما تدل على أن الرؤاسي قد دخل البصرة، وأن له كتابا بعنوان الفيصل ذكر أنه بقي يدرس إلى سنة 377هـ، وتتلمذ الكسائي والفراء على يديه، إلا أن الكسائي قد انقلب على أستاذه، وهذا يدل على التنافس بينهما على زعامة مدرسة نحوية بدأت ملامحها

---

(1) ابن النديم، محمد بن إسحاق (438هـ)، الفهرست، تح: إبراهيم رمضان، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1997م، ص89.

(2) الأنباري، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (577هـ)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: إبراهيم السامرائي، ط3، مكتبة المنار، الأردن، 1985م، ص51.

(3) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (911هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل، ج1، ط بلا، المكتبة العصرية، لبنان، ص83.

(4) القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف (646هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح: محمد أبو الفضل، ج4، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1982م، ص 108.

تظهر، فينقل ياقوت الحموي قولا لثعلب يقول فيه: " كان الرؤاسي أستاذ علي بن حمزة والفراء، قال الفراء: فلما خرج الكسائي إلى بغداد، قال لي الرؤاسي: قد خرج الكسائي، وأنت أسن منه، فجئت إلى بغداد، فرأيت الكسائي، فسألته عن مسائل الرؤاسي، فأجابني بخلاف ما عندي، فغمزت عليه قوما كوفيين كانوا معي فرآني، فقال لي: مالك قد أنكرت؟ لعلك من أهل الكوفة، قلت: نعم، قال الرؤاسي يقول: كذا وكذا، وليس صوابا، وسمعت العرب تقول: كذا وكذا حتى أتى على مسائلي فلزمته" (5).

نلحظ مما سبق أن التأريخ اللغوي لبداية الخلاف النحوي يبدأ من الرؤاسي، فهو من نقل الفكر النحوي الكوفي إلى تلميذيه: الكسائي والفراء، ثم بدأت القطيعة عندما تبع الفراء الكسائي إلى بغداد، فلزمه، وأخذ من علمه ليصبح ملهمه في النحو فيما بعد، ويشير ثعلب إلى أن الكوفي الذي يذكره سيبويه في كتابه عند قوله: قال الكوفي، إنما هو الرؤاسي، ونص كلامه: " قال: وكل ما في كتاب سيبويه " وقال الكوفي كذا" فإنما يعني الرؤاسي" (6).

ويرد عبد العال سالم في كتابه الحلقة المفقودة على فكرة تحريض الرؤاسي للفراء للذهاب خلف الكسائي، ويرى أنها مطاردة فكرية، فيقول: " وأما كونه استنتاجا فإني لا أميل إليه، لأن ذهاب الفراء – من وجهة نظري- إلى بغداد هو مطاردة فكرية للكسائي الذي بدأ نجمه يسطع، وعلمه يبزغ، وآراؤه تتردد وتنشر، وذلك لتعقبه وهزيمته حتى يأفل نجمه، وكان المحاورة المشهورة التي بينه وبين الكسائي، تلك المحاورة التي اعترف فيها الفراء بفضل الكسائي ومنزلته مما جعله ينتسب إلى مدرسته، ويحمل لواءها من بعده" (7).

نلحظ مما سبق أن التأريخ اللغوي للإرهاصات الأولى للخلاف النحوي يكشف عدم ظهور خلاف نحوي حقيقي حتى هذه المرحلة، فلا تتعدى كونها نوعا من المحاورات والمناظرات اللطيفة التي لا تصل إلى مفهوم الخلاف الحقيقي، كما يثبت التأريخ الخلاف النحوي في هذه المرحلة وجود علاقة بين الخليل والرؤاسي من ناحية، ووجود كتب نحوية مؤلفة قبل الخليل من ناحية أخرى، ونقصد بذلك كتاب الفيصل للرؤاسي، فحديث المؤرخين والنحاة عنه يدل على وجوده.

ونلحظ من التأريخ اللغوي للخلاف النحوي أن الأحداث التاريخية المروية تثبت وقوع اتصال بين الخليل والرؤاسي، فدخل الرؤاسي كما يروي الفراء إلى البصرة مرتين، ويؤكد دخوله كذلك المبرد كما ذكرنا سابقا.

أما التلمذة فتظهر جلية في التأريخ من للخلاف النحوي، فالفراء والكسائي تتلمذا على يد الرؤاسي، ونهلا من علمه، ونقلاه إلى البصرة فيما بعد، كما يظهر التأريخ للخلاف النحوي القطيعة التي حدثت بين التلميذ وأستاذه، فخروج الكسائي إلى البصرة ومتابعة الفراء له تثبت عقوق الكسائي لأستاذه الرؤاسي، وتظهر كذلك منافسة الكسائي له في تزعم مدرسة أو اتجاه نحوي شارف على الظهور.

أما التاريخ للمكان والزمان فالبصرة والكوفة في عهد الرشيد تشكلان المركز الرئيس للأفكار النحوية التي شكلت في مرحلة لاحقة بؤرة ظهور الخلاف النحوي، فالتقت في هذه المرحلة طبقتان من النحاة: الطبقة الثالثة البصرية ويمثلها الخليل، والطبقة الأولى من الكوفيين ويمثلها الرؤاسي.

ويرجح مهدي المخزومي أن التنافس بين نحاة البصرة والكوفة إلى نهاية هذه المرحلة لم يكن موجودا، فيقول: " غير أننا نرجح أن التنافس بين نحاة البصرة والكوفة لا وجود له في عهد الخليل وأبي جعفر، فلم يكن أبو جعفر إلا بصريا كما قيل" (8).

---

(5) الحموي، شهاب الدين ياقوت (626هـ)، معجم الأدباء، تح: إحسان عباس، ج6، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م، ص2486.

(6) الحموي، معجم الأدباء، مرجع سابق، ص2486.

(7) مكرم، عبد العال سالم، الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م، ص424-425.

(8) المخزومي، مهدي، مدرسة الكوفة في النحو، ط2، مطبعة مصطفى البابي، مصر، 1958م، ص66.

لا نتفق مع مهدي المخزومي في رأيه السابق، فأبو جعفر الرؤاسي كان كوفيا، ولو كان بصريا لظهر فكره اللغوي عند سيبويه، فلم يرد ذكره في الكتاب.

المبحث الثاني- التأريخ اللغوي للبداية الحقيقية للخلاف النحوي.

عند التأريخ للبداية الحقيقية للخلاف النحوي يجب الوقوف على التأريخ الزمني لسيبويه، فتبرز إشكالية واضحة في تحديد المدة الزمانية التي عاشها سيبويه، ويلفت إلى ذلك مجموعة من النصوص التي حاولت الربط بين تتلمذه على يد عيسى بن عمر وتاريخ وفاته، فيظهر نص مثير للجدل في معجم الأدباء يرى فيه المؤلف أن سيبويه عاش أكثر من أربعين سنة، فيقول:

" قال المرزباني: مات بشيراز سنة ثمانين ومائة، وذكر الخطيب أن عمره كان اثنتين وثلاثين سنة، ويقال: إنه نيف على أربعين سنة، وهو الصحيح، لأنه قد روى عن عيسى بن عمر، وعيسى بن عمر مات سنة تسع وأربعين ومائة، فمن وفاة عيسى إلى وفاة سيبويه إحدى وثلاثون سنة، وما يكون قد أخذ عنه إلا وهو يعقل، ولا يعقل حتى يكون بالغا" [(9)].

أما المكان فترد رواية ينسبها ياقوت الحموي إلى ثعلب تذكر أن سيبويه قدم إلى العراق في عهد الرشيد، وهو الزمن الذي جاء فيه الرؤاسي إلى البصرة، إلا أنني لم أجدها في مجالس ثعلب، ونصها:

"وقال أحمد بن يحيى ثعلب في " أماليه": " قدم سيبويه العراق في أيام الرشيد وهو ابن نيف وثلاثين سنة، وتوفي وعمره نيف وأربعون سنة بفارس" [(10)].

تشكل هذه الروايات وسيلة للربط بين سيبويه وتلمذته على عيسى بن عمر، ولكن التأريخ الحقيقي يؤكد أن سيبويه لم يعش هذه المدة الزمنية، بل الراجح أنه توفي وعمره اثنتان وثلاثون سنة، فيقول ابن خلكان:

" وقصد بلاد فارس، فتوفي في قرية من قرى شيراز يقال لها البيضاء من سنة ثمانين ومائة، وقيل سنة ثمان وثمانين ومائة، وقال الحافظ ابن الجوزي: توفي سنة أربع وتسعين ومائة، وعمره اثنتان وثلاثون سنة...، وذكر الخطيب في تاريخ بغداد عن ابن دريد أنه قال: مات سيبويه بشيراز، وقبره بها، والله أعلم، وقيل إن ولادته كانت بالبيضاء المذكورة لا وفاته" [(11)].

هذه الأحداث التاريخية تؤكد المرحلة التاريخية التي مر فيها سيبويه قبل أن يؤلف الكتاب، فأخذ من علم أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر بالرواية، وتتلمذ على يد حماد بن سلمة، والخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب، وأبي زيد الأنصاري، وأبي الخطاب الأخفش الكبير، وثبت لقاؤه بحماد وتلمذته على الخليل، وجلوسه في مجلس أبي زيد الأنصاري، وعرضه ما يكتب على الأخفش سعيد بن مسعدة، فيروي الزبيدي ذلك في طبقات النحويين، فيقول:

"قال عبيد الله بن معاذ العنبري البصري: جاء سيبويه إلى حماد بن سلمة، فقال: أحدثك هشام بن عروة، عن أبيه، في رجل رَعُفَ في الصلاة؟ فقال حماد: أخطأت، وإنما هو " رَعَفَ"، فانصرف إلى الخليل، فشكا إليه ما لقيه من حماد، فقال: صدق حماد...، وقال أحمد بن معاوية بن بكر العليمي: ذكر سيبويه عند أبي، فقال: عمرو بن عثمان قد رأيته، وكان حدث السن، كنت أسمع في ذلك العصر أنه أثبت من حمل عن الخليل بن أحمد، وقد سمعته يتكلم ويناظر في النحو، وكان في لسانه حبسة، ونظرت في كتابه، فعلمه أبلغ من لسانه...، وقال ابن قتيبة حدثني أبو حاتم: عن أبي زيد

---

(9) الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (626هـ)، معجم الأدباء، ج5، مرجع سابق، ص2133.

(10) المرجع السابق نفسه.

(11) ابن خلكان، أحمد بن محمد (681هـ)، وفيات الأعيان، تح: إحسان عباس، ج3، ط1، دار صادر، بيروت، 1900م، ص464.

الأنصاري، قال: كان سيبويه غلاما يأتي مجلسه، له ذؤابتان، وقال الأخفش سعيد بن مسعدة: كان سيبويه إذا وضع شيئا من كتابه، عرضه علي، وهو يرى أني أعلم منه، وكان أعلم مني، وأنا اليوم أعلم منه" [12].

لقد كانت المجادلات والمحاورات العفوية تشكل بؤرة لبداية ظهور الخلاف النحوي، فدخل النحاة في هذه المجادلات النحوية ليعبر كلٌّ منهم عن رأيه، ومن هذه المحاورات محاورة سيبويه والأصمعي التي ذكرها الزبيدي، فيقول: " حدثنا الرياشي، قال: سمعت عمرو بن مرزوق يقول: رأيت سيبويه والأصمعي يتناظران، قال: يقول يونس بن حبيب: الحق مع سيبويه، وقد غلب ذا – يعني الأصمعي- لسانه" [13].

لقد كانت هذه المجادلات النحوية عفوية، ولم تشكل خلافا حقيقيا في النحو ليتشكل منه مدرستان نحويتان، كما نجد عبارات في ثنايا كتاب سيبويه، تدل على مخالفته لشيوخه أحيانا، فيقول: "زعم الخليل" [14]، " زعم يونس" [15].

المبحث الثالث- التأريخ لمصطلح الكوفيين في كتاب سيبويه.

وردت في كتاب سيبويه عبارات ينبغي أن نقف عندها، فهي العبارات التي يذكر فيها الكوفيين، سواء أقصد بذلك القراء أم قصد آخرين، فيقول سيبويه في أكثر من مسألة نحوية عند نسبة الرأي المخالف له: " وهم الكوفيون" [16]، " في قول الكوفيين" [17]، " أهل الكوفة") [18]، وننطلق في تحديد المقصود بالكوفيين بالوقوف على نموذج من المسائل التي ذكر فيها لفظ الكوفيين، ومنها قوله: " وحدثنا هارون أن ناسا – وهم الكوفيون- يقرؤونها:﴿ثُمَّ لننزعنَّ مِن كُلِّ شِيعةٍ أَيُّهُم أشدُّ على الرحمنِ عِتِيًّا﴾ {مريم: 69}، وهي لغة للعرب جيدة، نصبوها كما جروها حين قالوا: امرر على أيّهم أفضل " [19].

نلحظ من كلام سيبويه أنه أبهم صاحب القراءة، فالذهن لا ينصرف إلى قراء الكوفة المتأخرين بالنسبة لسيبويه، وهم: عاصم (127هـ)، وحمزة (156هـ)، والكسائي (189هـ)، بل مصطلح القراء السبع لم يظهر إلا عند ابن مجاهد المتوفى سنة (324هـ)" [20].

وعند تخريج هذه القراءة نجد أنها تنسب إلى بشر عن طلحة، وعن الأعمش، ومعاذ الهراء برواية هارون، ويظهر ذلك في النصين التاليين: يقول الهذلي: " (أيَّهم) بنصب الياء بشر عن طلحة، وزائدة عن الأعمش، والباقون بالرفع وهو الاختيار" [21].

ويقول ابن عطية: " وقرأ بعض الكوفيين ومعاذ بن مسلم وهارون القاري (أيَّهم) بالنصب، وقرأ الجمهور (أيُّهم) بالرفع" [22].

---

(12) الزبيدي، محمد بن الحسن (379هـ)، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل، ط2، دار المعارف، ص66-67.

(13) المرجع السابق نفسه، ص68.

(14) سيبويه، عمرو بن عثمان (180هـ)، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، ج1، ط3، مكتبة الخانجي، 1988، ص 72.

(15) المرجع السابق، ج1، ص416.

(16) المرجع السابق نفسه، ص 399.

(17) المرجع السابق نفسه، ج4، ص 409.

(18) المرجع السابق نفسه، ج4، ص477.

(19)المرجع سابق، ج2، ص 399

(20) انظر: ابن مجاهد، أحمد بن موسى، السبعة في القراءات، تح: شوقي ضيف، ط2، دار المعارف، مصر، 1980م، ص، 69، 71، 78.

(21) الهذلي، يوسف بن علي (465هـ)، الكامل في القراءات، تح: جمال بن السيد، ط1، مؤسسة سما للتوزيع، 2007م، ص596

(22) ابن عطية، عبد الحق بن غالب (542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام الشافي، ج4، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ص26.

وخلاصة الرأي أن سيبويه لم يدرج الكسائي في مصطلح الكوفيين الذين ذكرهم في كتابه، لأنه راوية لقراءة حمزة، ويؤكد بدر بن محمد الجابري في بحث له ذلك، ويرى أن الكوفيين في كتاب سيبويه من القراء هم: عاصم بن أبي النجود (127هـ)، وأبان بن تغلب (141هـ)، وسليمان بن مهران الأعمش (148هـ)، وطلحة بن مصرف (146هـ)، وحمزة الزيات (156هـ) [23].

أما المسألة التي تظهر مهمة عند سيبويه في تحديد المقصود بالكوفيين، فهي مسألة صرفية، فصرح فيها سيبويه بالكوفيين، ونلحظ أن المعنى لا ينصرف هنا للقراء والقراءات، بل يدل على اتجاه لغوي له رأي خاص، فيقول:

" ولا ينبغي أن يكون في قول الكوفيين إلا فيعلا مكسور العين، لأنهم يزعمون أنه فيعل، (وأنه محذوف)عن أصله " [24]

عند التحقق من المقصود في كلام سيبويه نجد معظم الروايات التي تتحدث عن قول الكوفيين في المسألة تنطلق من كلام الفراء، فيقول ابن قتيبة وهو من أقدم من تناول المسألة: " وكان بعض النحويين يزعم أن سيدا وميتا وأشباههما فيعلٌ غيرت حركته...، وقال الفراء: هو فيعلٌ" [25].

ولكن نجد قولا يشير إلى أن المقصود بالكوفيين هنا هو الرؤاسي، فيقول أبو العلاء المعري: " لأن سيدا وميتا على وزن فيعل في رأي البصريين، وزعم الرؤاسي أن أصله فيعلٌ، فنقل إلى فيعل وهذا راجع إلى القول الأول، وزعم الفراء أن أصل سويد ومويت." [26]

ربما قصد سيبويه من هذا الإبهام نفي وجود رأي نحوي يستحق الوقوف عنده، فهو بنظره هامشي، ولكن يمكن أن نحيله إلى شيوخ الفراء والكسائي دون تخصيص، فحديث سيبويه عنهم بالعموم، بلفظ الكوفيين لا ينكر وجودهم، بل يثبته، فوقوف سيبويه وإشارته لرأيهم يدل على أنه كان شائعا ومتداولا.

المبحث الرابع- التأريخ اللغوي لمرحلة استقرار الخلاف النحوي وتبلور مدارسه.

يربط علماء اللغة بداية ظهور الخلاف النحوي بمسألة نحوية اشتهرت في التاريخ، وقد أطلق عليها المسألة الزنبورية، ويرجع إلى هذه المسألة بداية الخلاف الحقيقي بين البصريين والكوفيين، وهي مناظرة في مسألة عرفت بالمسألة الزّنبوريّة جرت بين سيبويه والكسائي في مجلس يحيى بن خالد البرمكي في القرن الثاني الهجري.

ولكن ما يلفت النظر في التأريخ لهذه المسألة أن المحاورة بدأت قبل أن يأتي الكسائي، فتحاور سيبويه مع خلف الأحمر، ثم مع الفراء، وأخطأ في الإجابة عن أسئلتهم، فيقول الأنباري:

" أما الكوفيون فاحتجوا بالحكاية المشهورة بين الكسائي وسيبويه، وذلك أن لما قدم سيبويه على البرامكة، فطلب أن يجمع بينه وبين الكسائي للمناظرة، حضر سيبويه في مجلس يحيى بن خالد وعنده ولداه جعفر والفضل، ومن حضر بحضورهم من الأكابر، فاقبل علي الأحمر على سيبويه قبل حضور الكسائي، فسأله عن مسالة، فأجابه سيبويه، فقال له الأحمر: أخطأت...، فقال سيبويه: هذا سوء أدب، قال الفراء: فأقبلت عليه، وقلت: إن في هذا الرجل عجلة وحدة، ولكن ما تقول في من قال: هؤلاء أبون، ومررت بأبين، كيف تقول على مثال ذلك (وأيت، وأويت)، فقدر فأخطأ، ثلاث مرات يجيب ولا يصيب " [27].

---

(23) أنظر: الجابري، بدر بن محمد، الكوفيون في كتاب سيبويه، مجلة جامعة أم القرى، ع11و 2013م، ص 22.

(24) سيبويه، الكتاب، ج4، مرجع سابق، ص 409.

(25) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (276هـ)، أدب الكاتب، تح: محمد الدالى، ط مؤسسة الرسالة، بيروت، بلا تاريخ، ص 599.

(26) المعري، أحمد بن عبد الله (449هـ)، رسالة الملائكة، تح: محمد الجندي، دار صادر، بيروت، 1992م، ص 169.

(27) الأنباري، عبد الرحمن بن محمد (577هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف، تح: محمد محي الدين، ج2، ط1، دار الفكر، ص577.

نلحظ من التأريخ لهذه المسألة ما يلي:

- أولا: الحادثة حدثت في زمن البرامكة في مجلس يحيى بن خالد، وكان له ولدان جعفر، والفضل.
- ثانيا: حضر للمجلس أولا علي الأحمر وجادل سيبويه وغلبه، مما يدل أن النية مبيتة فيما حدث لسيبويه بعد ذلك.
- ثالثا: حضر الفراء وحاول أن يظهر أنه أفضل من علي بن الحسن الأحمر، فجادل سيبويه، وطرح مسألة أخطأ فيها سيبويه مما دفعه أن يرفض جدالهما حتى يأتي شيخهما الكسائي.

وبعد هذا الجدل، يدخل الكسائي إلى المجلس، فيقول الأنباري:

"حضر الكسائي، فأقبل على سيبويه فقال: تسألني أو أسألك؟ فقال: بل تسألني أنت، فأقبل عليه الكسائي فقال: كيف تقول: كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي، أو فإذا هو إيَّاهَا؛ فقال سيبويه: فإذا هو هي، ولا يجوز النصب؟ فقال له الكسائي :لحنت...، ليس هذا من كلام العرب، والعرب ترفع ذلك كله وتنصبه، فقال له يحيى بن خالد: قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما فمن ذا يحكم بينكما؟ فقال له الكسائي: هذه العرب ببابك قد اجتمعت من كل أوب؛ ووفدت عليك من كل صُقْع، وهم فصحاء الناس، وقد قنع بهم أهل المِصْرين، وسمع أهل الكوفة والبصرة منهم؛ فيحضرون ويسألون، فقال له يحيى: قد أنصفت، وأمر بإحضارهم، فدخلوا وفيهم أبو فَقْعَس وأبو زياد وأبو الجراح وأبو ثَرْوَان، فسئلوا عن المسائل التي جرت بين الكسائي وسيبويه، فوافقوا الكسائي، وقالوا بقوله، فأقبل يحيى على سيبويه فقال: قد تسمع، وأقبل الكسائي على يحيى: وقال أصلح الله الوزير! إنه وَفَدَ عليك من بلده مؤملًا، فإن رأيت أن لا ترده خائبًا، فأمر له بعشرة آلاف درهم، فخرج وتوجه نحو فارس، وأقام هناك، ولم يعد إلى البصرة "[28] .

يؤكد التأريخ اللغوي لهذه المسألة أن الكسائي هو المؤسس الحقيقي لمدرسة الكوفة في النحو، كما يؤكد أن الفراء وعلي الأحمر من تلاميذه، ففي نهاية حوار سيبويه مع الفراء قال له: " فلما كثر ذلك عليه قال: لا أكلمكما أو يحضر صاحبكما حتى أناظره" [29].

أما شهود الكسائي في هذه المسألة فهم قوم من الحطمة، فيقول الحموي: " وقد قال أصحاب سيبويه: الأعراب الذين شهدوا للكسائي من أعراب الحطمة الذين كان الكسائي يقوم بهم ويأخذ عنهم" [30].

وقبل مغادرة القصة نقف عند الروايات التاريخية في كتب اللغة والأدب التي تدخل الشك في نفوسنا في صحة وقوع المناظرة بين سيبويه والكسائي، ونقف عند آراء بعض الباحثين الذين شككوا في مصداقية هذه القصة، ويرجعون ذلك إلى عدة أسباب، منها:

- اختلاف الروايات: عند تتبع ما قالوا نقف عند نموذجين من الرواية في كتابي الأمالي وطبقات النحويين لنقارن بين الروايتين:

يروي القصة الزجاجي (374هـ) بسند، فيقول: " أخبرنا أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش النحوي، حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، قال حدثني سلمة، قال: قال الفراء..." [31].

أما النموذج الثاني من الرواية فراوية الزبيدي (379هـ) في طبقات النحويين، فيقول: " وحكى أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس النحوي المصري، قال: قال أحمد بن حيى ثعلب، ومحمد بن يزيد المبرد..." [32]

---

(28) الأنباري، الإنصاف، ج2، مرجع سابق، ص577.

(29) المرجع السابق نفسه.

(30) الحموي، معجم الأدباء، ج5، مرجع سابق، ص2126.

(31) الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق (337هـ)، أمالي الزجاجي، تح: عبد السلام هارون، ط2، دار الجيل، بيروت، 1987م، ص239.

(32) الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، مرجع سابق، ص68.

نلحظ عند مقارنة الروايتين الاختلاف بين الرواة من ناحية، وإقحام النحاس والمبرد واتفاق ثعلب والمبرد على رواية في الرواية الثانية من ناحية أخرى، وهذا دفع إلى التشكيك في صدق الرواية، فتقول سهير أحمد:

" نسبة هذه المناظرة للزجاجي ليست على جهة اليقين، فالكتاب، أي مجالس العلماء يبدأ بذكر المجلس مباشرة، ولا يذكر الزجاجي في بداية السند...، تسلسل السند ليس بقوة واحدة، فيستمر بصيغة "حدثني" حتى يأتي ذكر راوي المسألة، فيقول سلمة: قال الفراء ولم يقل "حدثني"، وهذا يدل على غياب المشافهة في الإخبار، وقد يكون سمع ذلك عن راو عن الفراء، ولم يسمعه منه نفسه" [(33)].

- تأخر ورودها في المؤلفات اللغوية، فلم ترد المسالة إلا في القرن الرابع عند الزجاجي المتوفى (374م) كما أسلفنا، فلم ترد عند السابقين كالفراء في معاني القرآن، ولا في معاني القرآن للأخفش مع أنها فخر للكوفيين على البصريين، كما لا نجدها في كتب التراجم قريبة العهد من حدوثها.

ويذكر السيوطي في المزهر أننا إذا أردنا أن نؤرخ لمدرسة الكوفة في النحو فنبدأ من الكسائي، لأنه أول نحاة الكوفة الذين أسسوا لظهور المدرسة الكوفية في النحو، فيقول السيوطي: " وكان عالم أهل الكوفة وإمامهم غير مدافع أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي" [(34)].

ونتفق مع المخزومي في أن الكسائي، ويحيى بن زياد الفراء، وأحمد بن يحيى ثعلب هم من بدئت بهم مدرسة الكوفة، وقد ختمت على أقوالهم، أما الباقون فهم إما أصحاب الكسائي، أو أصحاب الفراء، أو أصحاب ثعلب. [(35)]

ويذكر السيوطي نصا يثبت أن الكسائي لقي الخليل قبل وفاته، فخرج في طلب العلم عندما ذهل من علم الخليل، إلا إنه عندما رجع إلى البصرة وجد الخليل قد مات، فيقول في بغية الوعاة:

" ثم خرج إلى البصرة، فلقي الخليل، فقال الخليل: من أين أخذت علمك هذا؟ فقال: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة، فخرج ورجع، وقد أنفذ خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب، سوى ما حفظ، فقدم البصرة، فوجد الخليل قد مات، وفي موضعه يونس، فجرت بينهما مسائل أمر له فيها يونس، وصدره في موضعه" [(36)]

نلحظ من النص السابق أن الخليل قد رحل في جمع علمه إلى نجد وبوادي الحجاز، ويؤرخ النص للقاء الأول الذي جمع الخليل بالكسائي، وخروجه إلى الصحراء يجمع علمه ليعود مرة أخرى إلى البصرة ليجد الخليل قد توفي.

ويؤرخ النص السابق إلى من تولى مجلس البصرة بعد الخليل، فيذكر السيوطي أن الكسائي عندما رجع وجد يونس قد أصبح رأس مدرسة البصرة في النحو، ودار بينهما حوار وجدال إلا إن رد يونس عليه يشعرنا أن الخلاف النحوي الحقيقي لم يظهر لتلك اللحظة.

تظهر قصة أخرى في الخلاف النحوي تؤرخ لأحداث متعددة، منها ثأر اليزيدي لسيبويه من الكسائي في بيت المهدي في شهر رمضان قبل أن يتولى الخلافة بأربعة أشهر، فيقول اليزيدي: " فلما دخلنا على المهدي أقبل علي، فقال: كيف نسبوا إلى البحرين، فقالوا: (بحراني)، وإلى الحصنين، فقالوا: (حصني)، هلا قالوا: (حصناني) كما قالوا بحراني؟ فقلت أيها الأمير: لو قالوا في النسب إلى البحرين (بحري) لالتبس فلم يدر...، فسمعت الكسائي يقول لعمرو بن بزيغ: لو سألني الأمير عنهما أجبته بأحسن من هذه العلة..." [(37)].

---

(33) أحمد، سهير، المسألة الزنبورية بين الوهم والحقيقة، كلية الآداب، جامعة سوهاج، مصر، ص 514.

(34) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (911م)، المزهر في علوم اللغة، تح: فؤاد علي، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ص349.

(35) انظر: المخزومي، مهدي، مدرسة الكوفة في النحو، مرجع سابق، ص88.

(36) السيوطي، بغية الوعاة، ج2، مرجع سابق، ص163.

(37) الزجاجي، ، أمالي الزجاجي، مرجع سابق، ص59.

فما زال يسأله ويفند كلامه وحججه حتى قال له المهدي: " يا كسائي ما مر بك مثل اليوم" [38].

نلحظ من الحوار الذي دار في مجلس المهدي أن التأريخ اللغوي يكشف لنا الزمان والمكان الذي دار فيه الحوار، فهو زمن المهدي قبل أن يتولى الخلافة بأربعة أشهر، وفي شهر رمضان، وبحضور اليزيدي والكسائي، فاستطاع اليزيدي أن يحرج الكسائي في ذلك اليوم مما دفع المهدي أن يعرض بالكسائي، ويقول له أن هذا اليوم لم يمر عليه مثله.

ويشير الأفغاني أن هذه القصص والروايات تدل على أن هذه المجالس لم تكن عادلة ومحايدة، فميل السلطان وتقريبه لأحد الخصمين قوى نفسه، فاستطال على خصمه بلسانه وجاهه في القصر وعند الشهود، وتحدثت هذه المجالس بغلبته، إلى أن رد التاريخ الحق لأهله. [39]

ويظهر الخلاف بين ثعلب والمبرد في قصة خلافهم في رسم المصحف، فيروي الحموي إنموذجا من هذا الخلاف، فيقول: "حكى أن بعض الأكابر من بني طاهر سأل أبا العباس ثعلبا أن يكتب له مصحفا على مذهب أهل التحقيق فكتب " والضحى" بالياء، ومذهب الكوفيين أنه إذا كان كلمة من هذا النحو أولها ضمة أو كسرة كتبت بالياء، وإن كانت من ذوات الواو، والبصريون يكتبون بالألف، فنظر المبرد في ذلك المصحف، فقال: ينبغي أن يكتب " والضحا" بالألف؛ لأنه من ذوات الواو، فجمع بينهما ابن طاهر، فقال المبرد لثعلب: " لم كتبت " والضحى" بالياء؟ فقال: " الضمة أوله" فقال له: " ولم إذا ضم أوله وهو من ذوات الواو تكتبه بالياء؟" فقال: لأن الضمة تشبه الواو، وما أوله واو يكون آخره ياء، فتوهموا أن أوله واو، فقال المبرد: " أفلا يزول هذا التوهم إلى يوم القيامة؟" [40]

نلحظ من هذا النص أن ثعلب كان بينه وبين المبرد خصومة شديدة، فدفع ذلك الشعراء أن ينظموا شعرا فيهما، فتحولت خصومتهما إلى مثل يضرب عند العرب، فيقول السيرافي متحدثا عن المبرد: " وكان بينه وبين ثعلب من المنافرة ما لا خفاء به، وأكثر أهل التحصيل يفضلونه، ولاشتهار عداوتهما نظمها الشعراء، فقال بعضهم:

فأبداننا في بلدة والتقاؤنا **** عسير كأنا ثعلب والمبرد" [41]

نلحظ من التأريخ لهذه القصص والأحداث أنها تحتاج إلى مزيد من التحري والضبط والتوثيق، فمعظم المصادر التي تناولتها بعيدة الزمن عن تاريخ حدوثها، والأمر اللافت أن معظم مصادر اللغة والنوادر لم تقف عند بعضها، أو وقفت عندها في روايات تختلف من مصنف إلى آخر.

المبحث الخامس- التأريخ لمسائل الخلاف النحوي.

كان الكسائي حاضرا بآرائه في كتاب الإنصاف، ولم يكن كوفيا مستقلا يخالف البصريين في كل شيء، بل وافق البصريين في كثير من المسائل التي خالفه الكوفيون فيها فيما بعد، فوافق الخليل في أن لن مكونة من (لا وأن)، وفعلية نعم وبئس، وهذا دفع مهدي المخزومي إلى أن يقول: " وأكبر الظن أن الكسائي- بالرغم من كونه مؤسس المدرسة الكوفية – لم يكن نحوه كوفيا خالصا، ولم يستطع التخلص من آثار شيوخه البصريين" [42].

أما البصريون في كتاب الإنصاف فهم من ألفوا كتبا نقلا عن شيوخهم، ومنهم: سيبويه والمبرد والزجاج وغيرهم، ولكن لفظ الكوفيين عند الأنباري يحتاج إلى تتبع وتدقيق، فغالبا يقصد الفراء في طرح رأي الكوفيين في كثير من مسائل

(38) المرجع السابق، ص 61.

(39) انظر: الأفغاني، سعيد، من تاريخ النحو، ط1، دار الفكر، لبنان، ص62.

(40) الحموي، معجم الأدباء، مرجع سابق، ص 2683.

(41) السيوطي، بغية الوعاة، مرجع سابق، 270.

(42) المخزومي، مهدي، مدرسة الكوفة في النحو، مرجع سابق، ص118.

الإنصاف، ومن الأمثلة على ذلك مسألة الاسم المرفوع بعد لولا، فعند التحقق وجدنا قول الفراء في معاني القرآن هو من يمثل رأي الكوفيين، فيقول الأنباري:

" ذهب الكوفيون إلى أن (لولا) ترفع الاسم بعدها، نحو: لولا زيدٌ لأكرمتك، وذهب البصريون إلى أنه يرتفع بالابتداء "[43]

" ومثله: " لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات" لولا أن تطئوهم فأن في موضع رفع عند الفتح."[44]

ومن الأمثلة التي تمثل رأي الفراء في الإنصاف مسألة اسمية نعم وبئس بدليل دخول حرف الجر عليهما، وفي هذه المسألة يستشهد الأنباري بنص لثعلب في إثبات اسمية نعم وبئس بدليل دخول حرف الجر عليهما، فيقول:

" وحكى أبو بكر الأنباري عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب عن سلمة عن الفراء أن أعرابيا بشر بمولودة، فقيل له: نعم المولودة مولودتك، فقال: " والله ما هي بنعم المولودة: نصرتها بكاء، وبرها سرقة"[45]

عند البحث في هذا الرأي لا نجده في كتب اللغة التي سبقت الأنباري، ولا في معاني القرآن، إلا أن ابن يعيش قد ذكره في شرح المفصل، فيقول: " وحكى الفراء أن أعرابيا بشر بمولودة، فقيل له: " نعم المولودة مولودتك"، فقال: والله ما هي بنعم المولودة."[46]

لقد كان لتأليف الفراء كتابه معاني القرآن دور في اعتماد الأنباري عليه في آراء الكوفيين في مسائل الخلاف، مما يدل على الخصوصية الفكرية التي كان يتميز بها في هذه المدرسة، فتؤرخ بعض المسائل النحوية مخالفته لأستاذه الكسائي، ومن ذلك خلافهم في تفسير النصب في قوله تعالى: ﴿فآمنوا خيراً لكم﴾. {النساء: 177}

وردت في كتاب الإنصاف آراء عند التأريخ لها نجد أنه لم يقل بها الكوفيون أو البصريون، بل فهمت أو أولت بطريقة خاطئة، ومن الأمثلة على ذلك قول الأنباري في مسألة تقديم حرف الاستثناء في أول الكلام:

" ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز تقديم حرف الاستثناء في أول الكلام، نحو قولك: (إلا طعامك ما أكل زيد) نص عليه الكسائي، وإليه ذهب أبو إسحاق الزجاج في بعض المواضع، وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز ذلك"[47].

وعند تتبع التأريخ لهذه المسألة نجدها عند السيرافي في شرح الكتاب، فيقول: قال الكسائي: " إلا طعامك ما كل زيد."، استثناء وجاز أن نضعه مقدما ومؤخرا، وهذا عند أصحابنا لا يجوز من غير جهة..."[48]

وعند تتبع هذا الرأي للكسائي لا نجد أحدا من الكوفيين تحدث عنه، وأما الزجاج فلا يظهر من كلامه أن يسمح بتقديم أداة الاستثناء، فيقول: " فالاستثناء مستعمل في كلام العرب، وتأويله عند النحويين توكيد لعدد وتحصيله وكماله، لأنك قد تذكر الجملة ويكون الحاصل أكثرها، فإذا أردت التوكيد في تمامها قلت كلها، وإذا أردت التوكيد في نقصانها أدخلت فيها الاستثناء، تقول: جاءني إخوتك، يعني أن جميعهم جاءك..."[49].

---

(43) الأنباري، الإنصاف، ج1، مرجع سابق، ص 70.

(44) لفراء، يحيى بن زياد (207هـ)، معاني القراء، ج3، تح: أحمد يوسف وآخرين، المصرية للتأليف والنشر، مصر، ص61.

(45) الأنباري، الإنصاف، ج1، مرجع سابق، ص98-99.

(46) أبن يعيش، يعيش بن يعيش (643هـ)، شرح المفصل، تح: أميل يعقوب، ج4، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، ص390.

(47) الأنباري، الإنصاف، ج1، مرجع سابق، ص273.

(48) السيرافي، الحسن بن عبد الله (368هـ)، شرح كتاب سيبويه، تح: أحمد حسن مهدي، ج3، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008م، ص101.

(49) الزجاج، إبراهيم بن السري (311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده، ج4، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1988م، ص163.

نستنتج مما سبق أن التأريخ لمسائل الخلاف النحوي قد يقودنا إلى إعادة النظر في حقيقة نسبة هذه الآراء إلى أصحابها، فالعمومية التي كانت ترد عند الأنباري في الإنصاف تحتاج إلى إعادة نظر وتحقيق في نسبة الأقوال إلى أصحابها، فقد تكون هذه الخلافات ضربا من الوهم.

ويؤكد ابن جني ضرورة التحقيق في هذه العمومية في الخصائص، فيقول: " ألا ترى أنك لو سألت رجلا عن علة رفع زيد، من نحو قولنا: زيد قام أخوه، فقال لك: ارتفع بالابتداء، لقلت: هذا قول البصريين، ولو قال: ارتفع بما يعود عليه من ذكره، لقلت: هذا قول الكوفيين، أي هذا رأي هؤلاء، وهذا اعتقاد هؤلاء، ولا تقول: كلام البصريين ولا كلام الكوفيين، إلا أن تضع الكلام موضع القول، متجوزا بذلك" [(50)].

ويقول في موضع آخر في الخصائص: " ومن ذلك قول البغداديين إن الاسم يرتفع بما يعود عليه من ذكره" [(51)].

نستنتج من النص السابق لابن جني أن آراء البغداديين هي نفسها آراء الكوفيين تارة، وهي آراء البصريين تارة أخرى، وهذا يقودنا إلى نفي وجود مدرسة ثالثة، بل هي آراء انتقائية من المدرستين في وقت تعمق فيه الخلاف النحوي، فلا تستحق أن تكون مدرسة مستقلة بذاتها.

نخلص مما سبق أن للتأريخ اللغوي للخلاف النحوي أهمية في أثبات الحقيقية اللغوية من ناحية، أو نفيها من ناحية أخرى، مما يساهم في تغيير كثير من الأفكار التي بني عليها الدرس اللغوي.

الخاتمة.

خلاصة بأهم النتائج.

في ختام هذا الجهد المتواضع، يمكن إجمال النتائج التي توصلت إليها الدراسة في مجموعة من النقاط، أهمها:

1- التأريخ اللغوي لنشأة النحوي يشكل أساسا لإعادة النظر في كثير من مسلمات وقضايا دراسة الخلاف النحوي، وهذا يقود إلى التحول في دراسة الخلاف النحوي من الجهد الفردي إلى الجهد الجماعي.
2- عند التأريخ للإرهاصات الأولى للخلاف النحوي لا يمكن أن نغفل النصوص التي تحدثت عن العلاقة بين الرؤاسي والخليل التي شكلت بداية الاتصال بين الكوفيين والبصريين.
3- شكلت المحاورات والمناظرات اللطيفة التي كانت تجري بين علماء اللغة النواة الأولى لنشأة الخلاف النحوي.
4- لفظ الكوفيين الذي ورد في كتاب سيبويه لا ينصرف إلى قراء الكوفة فقط، بل الإبهام يدل على وجود طبقة من النحاة يراد تهميشها.
5- ربط التأريخ لنشأة الخلاف النحوي بالمسألة الزنبورية أمر لا يقبله المنهج العلمي في البحث، وهذا الربط يدور حوله جدل بسبب الشك في صدق وقوعها.
6- يعكس التأريخ اللغوي للمسائل النحوية الخلافية بين مدرستي البصرة والكوفة خصوصية بعض الآراء، فالتعميم أمر غير مقبول، فنجد خلافا بين أفراد المدرسة نفسها.

التوصيات والمقترحات.

1- التأريخ اللغوي لقصص المناظرات والمجادلات بين مدرستي البصرة والكوفة للتحقق من صحتها.

---

(50) ابن جني، عثمان بن جني (ت:392هـ)، الخصائص، ج1، ط4، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ص 19.

(51) المرجع السابق نفسه، ج1، ص200.

2- إعادة دراسة الخلاف النحوي من خلال مناهج التأريخ اللغوي.
3- دراسة المسائل الخلافية بخصوصية؛ للوقوف على صاحب الرأي من الكوفيين أو البصريين.

ختاما ندعو الله أن يكون هذا الجهد مفيدا، وأن يكون خالصا لله سبحانه وتعالى، إنه نعم المولى ونعم النصير.

المصادر والمراجع.

- ابن النديم، محمد بن إسحاق (438هـ)، الفهرست، تح: إبراهيم رمضان، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1997م.
- ابن جني، عثمان بن جني (ت: 392هـ)، الخصائص، ط4، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2006م.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد (681هـ)، وفيات الأعيان، تح: إحسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت، 1900م.
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب (542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام الشافي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (276هـ)، أدب الكاتب، تح: محمد الدالى، ط مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.
- ابن مجاهد، أحمد بن موسى، السبعة في القراءات، تح: شوقي ضيف، ط2، دار المعارف، مصر، 1980م.
- ابن يعيش، يعيش بن يعيش (643هـ)، شرح المفصل، تح: أميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.
- أحمد، سهير، المسألة الزنبورية بين الوهم والحقيقة، كلية الآداب، جامعة سوهاج، مصر.
- الأفغاني، سعيد، من تاريخ النحو، ط1، دار الفكر، لبنان. د.ت.
- الأنباري، عبد الرحمن بن محمد (577هـ): الإنصاف في مسائل الخلاف، تح: محمد محي الدين، ط1، دار الفكر.
- الأنباري، عبد الرحمن بن محمد (577هـ): نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: إبراهيم السامرائي، ط3، مكتبة المنار، الأردن، 1985م.
- الجابري، بدر بن محمد، الكوفيون في كتاب سيبويه، مجلة جامعة أم القرى، ع11و 2013م.
- الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (626هـ)، معجم الأدباء، تح: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م.
- الزبيدي، محمد بن الحسن (379هـ)، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل، ط2، دار المعارف، القاهرة. د.ت.
- الزجاج، إبراهيم بن السري (311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1988م.
- الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق (337هـ)، أمالي الزجاجي، تح: عبد السلام هارون، ط2، دار الجيل، بيروت، 1987م.
- سيبويه، عمرو بن عثمان (180هـ)، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، ط3، مكتبة الخانجي، 1988م.
- السيرافي، الحسن بن عبد الله (368هـ)، شرح كتاب سيبويه، تح: أحمد حسن مهدي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (911هـ): المزهر في علوم اللغة، تح: فؤاد علي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (911هـ): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل، ج1، ط بلا، المكتبة العصرية، لبنان، د.ت.

- الفراء، يحيى بن زياد (207هـ)، معاني القراء، تح: أحمد يوسف وآخرين، المصرية للتأليف والنشر، مصر.
- القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف (646هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح: محمد أبو الفضل، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1982م.
- المخزومي، مهدي، مدرسة الكوفة في النحو، ط2، مطبعة مصطفى البابي، مصر، 1958م.
- المعري، أحمد بن عبد الله (449هـ)، رسالة الملائكة، تح: محمد الجندي، دار صادر، بيروت، 1992م.
- مكرم، عبد العال سالم، الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م.
- الهذلي، يوسف بن علي (465هـ)، الكامل في القراءات، تح: جمال بن السيد، ط1، مؤسسة سما، 2007م.